تحذير المسلمين من اتباع سنن السابقين
«لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم» (١)[١]

من دلائل النبوة القدسية الخالدة - وكلها حق سماوي الإشعاع، وهدىً إلهي الإشراق - هذا الوحي المقدس الذي شعَّت به روح النبي الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، فجعله يقول: «**لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقذة، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**».

قالوا يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن**»[٢][٣].

ولكي يغمر اليقين المطمئن بصدق النبوة قلبك ارجع البصر والنظر ينقلب إليك البصر محزون الدموع؛ والقلب واهي الضلوع؛ والفكر داميًا منكوء الجراح.

واقتبس لك من سنا القرآن قبسًا يضيء لك في التيه الحزين؛ وعلىٰ أشعته الإلهية انظر حواليك.

فيا مؤمن القلب، هل ترىٰ إسلامًا ومسلمين؟ أو أنك - أيان حل بك الركب ترىٰ مجوسية ومجوسيين، ويهودية ويهوديين، ونصرانية ونصرانيين؟

ترىٰ كل هذه الوثنيات التي عَرْبَد فيها الكفر وتنزىٰ منها الشرك، صورة مسخًا شائهًا، ووثنًا معبودًا، سمي تصوفًا وصوفيين؟

---

(١) مجلة الهدي النبوي (٨/ ١٣٦٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، برقم: (٣٤٥٦)، ومسلم، كتاب: العلم، برقم: (٦/ ٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ترىٰ في الأمم التي تزعم أنها إسلامية زندقة المجوسية، وكفر اليهودية، وشرك النصرانية، زاعمة - عن جحود للحق - أن ذلك هو الإسلام في حقائقه العلوية الهادية، وما يقوم ببث هذه المجوسية الداعرة، وتلك اليهودية الكافرة، والنصرانية الفاجرة سوىٰ أولئك الذين لبسوا قناعًا، اسمه التصوف.

فكادوا للدين، وأتوا بنيانه من القواعد.

كل هذا والعلماء يقولون: فليتصوف من شاء أن يتذوق الحقيقة في قداستها وخلودها... ولماذا أيها العلماء؟! يجيبون: إن الدين حقيقة وشريعة.

ومن أنتم أيها السادة؟! نحن أهل الشريعة. أما الصوفية فهم أرباب الحقيقة؛ نحن أهل الرسوم والظاهر؛ والصوفية أرباب المعاني والباطن المقدس.

وبأيهما جاء محمد خاتم النبيين ﷺ بالشريعة أم بالحقيقة؟!

ولكن كتاب الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، ويقول: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وليس في ديننا الكامل - وقد بلغه الرسول آية نعرف منها ما تزعمون أنه شريعة وحقيقة، وإنما نعرف شريعة فحسب، هي الحق والصدق، وهي كل شيء يسير الكون بهداه؛ وهي المثل الأعلىٰ لكل ما يسمو بالنفوس إلىٰ أوج المجد والرقي والحضارة العظمىٰ، والمثل العليا للأخلاق.

إنها استوعبت الخير في سماحته؛ والحق في قدسيته؛ والهدىٰ في وضاءته؛ والسعادة الروحية التي تجعل من المؤمن إنسانًا تجري تحت قدمه الدنيا وَجِلَة مذعورة؛ لأنه إنسان في حقيقته الكاملة، يفوح منها أرج الإيمان، وتسمو بذاتيتها لله عزة عبوديتها الخالصة.

ذلك بعض ما يوحيه إلينا ديننا الخالد من معانيه، فما بيَّن لنا الكتاب الكريم ولا السنة المطهرة أن ديننا جزآن، جزء اسمه الشريعة، وآخر اسمه الحقيقة، وللشريعة العلماء البدائيون، وللحقيقة المتصوفة المتحققون بالحق وللحق! فأين هي الحقيقة أيها العلماء العبيد الأذلاء للصوفية؟! أأبداها محمد ﷺ أم أخفاها؟

أنتم تقرون معنا أن رسول الله لم يبين لنا شيئًا اسمه الحقيقة حسب اصطلاحكم؛ ولا الفرقان الخالد فيه ما تزعمون، فلم يبق إلا أمر واحد هو أن محمدًا ﷺ كتم تلك الحقيقة! فيكون الرسول علىٰ زعمكم قد خان الرسالة.!!

فكل قائل بالحقيقة - من السادة العلماء وآلهتهم الصوفية - إنما يطوي النفس علىٰ فهم خبيث، وهو أن محمدًا ﷺ خان ربه فلم يبلغ رسالته!!

وإلىٰ مثل هذا الفهم ذهب ابن عربي في كتابه فصوص الحكم، بالفص النوحي وبالفص المحمدي؛ فاقرأهما إن شئت يا من تؤمن بابن عربي وأبالسته وتكفر بالله وملائكته.

يا من تصدق ابن عربي وتكذب محمدًا رسول الله؛ محمدًا الذي يبغضه بعض زعماء الصوفية لأنه بين الفرق؛ أي فرق بين الخلق والخالق، والعابد والمعبود! بينما الله أمره أن يبين القران، أي أن لا فرق بين خالق ومخلوق ومعبود وعبيد؟![1] تعاليت يا رب سبحانك، خلقتهم ليعبدوك فذهبوا يطلبون منك أن تكون يا رب أنت العبد والعابد!! فالله عند ابن عربي:

---

(١) معنىٰ كلمة «قران» عند ابن عربي: الاقتران، ضد الفرق. وهو يستعملها دائمًا بمعنىٰ الجمع، أي: اتحاد المخلوق بالخالق.

ويكنـــــىٰ في حالـــــة بإلـــــه ويكنـــــىٰ في حالـــــة بالعبيـــــد

وما تعودت - وأنت يا رب شهيد - اختلاقًا علىٰ فئة؛ ولا افتراء علىٰ قوم؛ وإنما عن روية ما أكتب، تاركًا ورائي حتىٰ الذي قد لا يتوهم الوهم أن فيه ظنًّا من الحق.

وما أكتب غير الصريح القاطع الدلالة؛ وما أبالي بعد أأرضيت بالحق الساطع فئة أغواها شيطان الصوفية، فصفدها بأغلاله وراء ركبه المغذ السري إلىٰ هاويتي الدنيا والآخرة: الشرك وغائر الأعماق من سقر.

ما أبالي أأرضيت بالصدق فئة تلمست توحيد الله في شرك الصوفية؛ والإيمان في كفرهم.

أم أثرت غضبهم عارمًا، وحنقهم متلظىٰ الأحقاد؛ فما نكتب لنرضي فريقًا؛ وإنما ليتبين الحق أبلج، والحقيقة ساطعة، ابتغاء وجه ربك ذي الجلال والإكرام، مستلهمين الهدىٰ، مستمطرين الرضىٰ: ضارعين إليه أن يغفر لنا، إن دفعنا الحماس الديني وحمية الشباب إلىٰ إغلاظ القول، وإن كان ربنا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] وما نغلظ القول طواعية، ولكنه الشعور الثائر الفائر؛ والحمية الملتهبة المستعرة، يدفعان القلب إلىٰ أن ينفس عن ثورته فيصدع بالحق لا يجد من قوته حياء؛ ولا يغض من سلطانه الباطش خجل، ولا يحول بينه وبين التدمير رعاية للشعور من أحد، فإن الذي تنفس به القلم لدين الله مبتغيًا به وجه الله.

فمما يثيرك - بل يكاد يسلبك رشدك - أن يتنمر الجاني عليك بقوله لك: أيها المجرم. وأن يقال لك - وأنت الموحد -: أيها الملحد المشرك. ما أقساها علىٰ النفس، ويا لله ما أشدها فجيعة ووجيعة: أن تكون الضحية هي الجانية، وأن

يوجبوا علىٰ القتيل لثم خنجر القاتل!! أفيلام البريء إذا اشتكىٰ ظالمه؟! وهل تلام الضحية إذا دلت علىٰ المجرم؟! هل يلام المؤمن الذي يستنصر ربه لدينه؟!

أو إذا أذن بين المؤمنين: «ألا أيها النوام ويحكم هبوا» فقد استيقظ الشرك وعربد؟! أيلام الحارس إذا أمسك باللص؟!

بودي أن أهمس في أذن الساخطين الغاضبين للصوفية: أئذا أوذي الله ورسوله رضيتم؟ وإذا أبرزت حقيقة الصوفية سخطتم؟!

تالله لقد عبد الصوفية الله بزعمهم بدم البغايا[1] وبالسحت لطخته دماء مسفوحة الأعراض؛ يجمعون المال باسم السيد، وينكصون علىٰ أعقابهم إذا طولبوا بزكاة الله! ويظلون طيلة الليل معربدين في حلقاتهم الماجنة، وينامون عن صلاة الله! ويجترحون أدنأ الآثام إرضاء - كما يزعمون - لقدر الله! ويسفح الدرويش عرض الدرويشة، إذا جاءهما بذلك الإذن من الله!![2].

ذلك أهون ما يرتكب الصوفية من منكر في الأخلاق، فما بالك بكبائرهم فيها، وبما يجنونه علىٰ العقيدة؟!

استباحوا الشرك باسم الله؛ وسفحوا الأعراض باسم الله؛ تلك هي عقيدة الصوفية، وذلك هو بعض ما يعملون.

---

(١) قص لي صوفي تائب أن شيخه كانت أكبر دراويشه بغي، وكانوا كلما جاءوا أكلوا من كسبها الحلال!!

(٢) قال لي شاب تاب عن الصوفية: إنه راود درويشة عن نفسها فغضبت، ثم رضيت لأن الله أذن لها بزعمها!!

ولنعد إلىٰ ما نحن بصدده غير آبهين بقول القائلين، أو عزل العازلين:

أقول: قطع هذا الحديث النبوي الشريف بأن من هذه الأمة من سيتبع سَنَنَ اليهود والنصارىٰ في أكبر الكبائر وأصغر الصغائر التي اقترفوها باسم الدين، ولطخوا بقارها وجه الدين.

ولقد أردنا في مقالتنا هذه أن نشير إشارة عارضة - لا شاملة، ولا مستوعبة - إلىٰ ما جناه الناس علىٰ الإسلام مقتدين في ذلك باليهود والنصارىٰ مصداقًا للحديث الشريف: «**لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم**».

